أنواع من القتل

الله وحده -تبارك اسمه- بيده الحياة والموت.

وهو الذي يحيي ويميت. وقد منح سلطات البشر حق الإماتة في بعض الحالات مثل إعدام القاتل. فسافك دم الإنسان. بيد الإنسان يُسفك دمه. أما خطيئة القتل فجريمة ينهي عنها الله.

وهي خطيئة لها خطورتها لأنها عمل لا يمكن أن يُعالج

ولا يمكن أن يُردّ. فمن الجائز أن تعوّض إنسانا عن خسائر سببتها له. ومن الجائز أن تعتذر إلي إنسان عن إهانة جرحته بها. ويمكنك أن ترد إليه كرامته واعتباره. أما قتل الإنسان فلا يمكن أن يعالج. ولاتستطيع أن ترد إليه الحياة التي سلبتها منه.

***

جريمة القتل لها خطورتها بالنسبة إلي قتل خاطيء أو بار

فقتل الخاطيء يعني إنهاء حياته قبل أن يتوب. وانه لم تعد له فرصة يستعد فيها لأبديته. فيكون قاتله قد قتله روحاً وجسداً. الآن وإلي الأبد. وألقي به في الجحيم.. مثال ذلك من يضبط زوجته أو أخته في حالة زني. فيقتلها للتو. وتموت بغير توبة.

يضاف إلي هذا. أن القاتل في نفس الوقت. يكون قد قتل نفسه شخصياً. بارتكاب خطيئة تؤدي إلي هلاكه هو...

أما عن قتل شخص بار. فإنه أيضاً خطر جداً. فهو قتل بلا سبب ولا مبرر. وقتله يعني منع النفع الذي كان يأتي منه كعضو في المجتمع. لذلك بقدر ما يكون المقتول نافعاً. تزيد المسئولية في قتله. فقتل إنسان هو جريمة. وحرمان المجتمع من نفع عام هو جريمة أخري. وتتسع مسئولية القتل بقدر عدد المنتفعين منه. وبقدر عمق الفائدة التي كانت تصدر عنه.

لذلك كان قتل الأنبياء والعلماء جريمة عظمي..

* *

والله لايترك الدم بدون نقمة. هو يجازي...

والقاتل لابد أن يطارده دم القتيل. مهما طال الوقت...

دم القتيل يصرخ إلي الله. والله يسمع ويجازي. مهما حاول القاتل أن يبرر جريمته. أو أن يخفيها ويتنصل منها.

لذلك فالذين ينتقمون لقتلاهم. إنما يتعجلون الأمر. ويريدون أن يحكموا لأنفسهم. قبل أن يحكم الله!! وهم بالانتقام يضعون علي أنفسهم ثقلاً. له أيضاً ردود فعله...

* *

وإن كان قتل الفرد له عقوبته. فماذا عن القتل الجماعي في الحروب؟ وما مدي المسئولية فيها؟

الحروب فيها فظائع كثيرة. وقتل بالجملة. وفيها تخريب أيضاً. لذلك فكثير من الحكام العقلاء يتحاشونها بقدر الإمكان.

علي أن الحرب تنقسم إلي حرب دفاعية. وأخري عدوانية. والحرب الدفاعية أقل مسئولية. وقد تكون ضرورة من أجل الوطن وسلامة أراضيه. ولكنها لاتخلو أيضاً من ضحايا يقعون قتلي من الجانبين. أما الحرب الهجومية العدوانية فهي شر واضح..

علي أن أخطر ما في الحرب: الأسلحة المدمرة التي تستخدم فيها

كالغازات السامة. والنابالم. والأسلحة البيولوجية والميكروبية. وكل أسلحة التدمير والتخريب التي تهدم كل البنية الأساسية من ماء وكهرباء ووسائل الاتصالات والكباري والأنفاق.

وكذلك من أخطاء الحرب الاعتداء علي مساكن المدنيين. وقتل الأطفال والنساء والمرضي والعجائز. وضرب المستشفيات والمدارس والمؤسسات غير العسكرية التي لاعلاقة لها بالحرب.

من أجل هذا وُجدت اتفاقات أو قوانين دولية خاصة بالحرب. للحد من خطورة قتل الأنفس فيها. وللتخفيف من الوحشية والبشاعة في الحروب. وقوانين لمعاملة الأسري.

ووُجد ما يُعرف باسم "مجرمي الحرب"

الذين سلكوا في الحرب بوسائل الإجرام. خروجاً علي القواعد المتبعة في الحروب سياسياً وعسكرياً.

* *

ومن بنود القتل أيضاً محاولة القضاء علي جنس معين سواء بالتعقيم أو الإخصاء

والتعقيم هو عملية يقصد بها إصابة الإنسان بالعقم. ليمنع من الإنجاب في المستقبل. ويحمل ضمناً إفناء لنوعه. وقد استخدم التعقيم في بعض الأوقات ضد الزنوج والعبيد في بعض البلاد لإبادتهم. ولاشك أنها عملية قتل خاصة بالمستقبل.

أما عن الإخصاء فمعناه إزالة الخصية عند الرجال. ويؤدي نفس نتيجة العقم بقتل خصوبتهم. وهذه طريقة لجأت إليها بعض الدول المتمدنة لإبادة الشعوب المتأخرة. والبعض لجأ إلي استخدامها أيضاً. أو استخدام ما يشبهها للتخلص من بعض المشوهين أو المعتوهين ومن اعتبروا ثقلاً علي المجتمع!!

* *

ينقلنا هذا إلي نوع من القتل أو الإجهاض

هو إسقاط الجنين. وبهذا يتم قتل مخلوق حي. في دور التكوين في بطن أمه. وإن كان لم يُولد فيه ولم يكتمل نموه... ولكنه نفس لا نملك قتلها أو منعها من التمتع بالحياة.

والإجهاض يتم بأن تتعمد المرأة الحامل. أو يتعمد زوجها أو أهلها إسقاط الجنين من بطنها. وقد يكون ذلك بعملية طبية يتحمل فيها الطبيب جزءًا من المسئولية. ويعتبر شريكاً أساسياً في هذا القتل... أو قد يكون الإجهاض بطرق أخري تعرفها النساء...

* *

علي أن الهدف من اسقاط الجنين يحدد مقدار المسئولية

فربما يكون الهدف من الإجهاض هو ستر خطية أخري. إن كانت المرأة قد حملت سِفاحاً. وقد يظن المشتركون في عملية الإجهاض أنهم قد فعلوا خيراً لمنع فضيحة. ولكنهم في الحقيقة قد اشتركوا في جريمة قتل. ولايجوز أن نغطي الخطيئة بخطيئة أخري. وما ذنب الجنين؟!

أو قد يكون سبب الإجهاض هو عدم رغبة المرأة أو زوجها في مزيد من النسل. وكان الوضع السليم هو منع الحمل. وليس أن يتم ثم يُقتل الجنين!

أما الاستثناء الوحيد الذي يجيز الإجهاض. هو تعرض الأم للموت إذا ولدت. بشهادة موثوق بها من الأطباء.

وبهذا يكون الجنين فدية لأمه. فيموت بدلاً عنها. ويري الأطباء أن التضحية به أمر لازم جداً من أجل حياة الأم.

* *

أما النوع غير المقصود فهو الإجهاض بسبب زيادة الإجهاد

كأن تجهد الأم نفسها فوق طاقتها- وهي حامل- فيؤدي الإجهاد الشديد إلي إجهاض. فتسقط ما في بطنها بغير قصد. والمفروض أن تحترس. وأن تكون هناك رعاية للأم أثناء حملها. وتوعية لها.

وقد يشترك في مسئولية هذا النوع من الإجهاض. صاحب العمل الذي يرهق موظفة عنده تكون حاملاً. غير مراع ماتستلزمه صحتها في شهور الحمل. فإن أدَّي ارهاقها إلي اسقاط جنينها. فإنه لا ينجو حينئذ من المسئولية.

وقد تقع مثل هذه المسئولية في الإسقاط علي الزوج. إذا لم يبال بصحة زوجته الحامل. وتسبب في إسقاطها لجنينها.

* *

ننتقل إلي نقطة أخري في جريمة القتل. وهي الانتحار:

الإنسان لا يملك نفسه حتي يتخلص منها. بل هي ملك لله الذي خلقها. وملك للمجتمع الذي رباها منذ الطفولة وينتظر منها أن تعمل لأجله. لذلك ليس من حق الإنسان أن يقتل نفسه. فهذه خطيئة.

خطيئة أخري للمنتحر. وهي اليأس وقطع الرجاء من الحياة

خطيئة ثالثة وهي عدم الإيمان. فالمنتحر يظن أنه بموته سينتهي من متاعبه علي الأرض. وكأنه لا يؤمن بالحياة الأخري التي سوف يدخلها بعد الموت. ويدخلها كقاتل نفس يائس قاطع الرجاء من إصلاح حاله.

والخطيئة الرابعة في الانتحار هي عدم الاحتمال

وهكذا فالانتحار جريمة قتل. يبدأ بها المنتحر حياته الأخري بغير توبة عنها. وبها يخرج من متاعب الدنيا إلي متاعب أخري في الجحيم أشد وأبشع. وكأنه خرج من حفرة ليقع في بئر.

الاستثناء الوحيد لمغفرة جريمة الانتحار. هو إن ثبت أن المنتحرفي وقت انتحاره كان فاقدا لقواه العقلية

والمعروف أن الإنسان لايحمل مسئولية عمله. إلا إذا كان عاقلاً يدرك مايعمل. وإن كان حراً يتصرف بمشيئته.

ونحن نعرف أن غالبية المنتحرين يدبرون وسيلة ووقت انتحارهم بعقل وتدقيق وحرص علي إخفاء ما يفعلون. وبعضهم يجلس قبل انتحاره ويكتب خطاباً يشرح فيه أسباب الانتحار ويوصي...

العقل عند هؤلاء كان موجوداً. ولكن النفس كانت منهارة

وهنا تتأرجح المسئولية ما بين العقل والنفس...

* *

هنا وأراني مضطراً إلي التعرض لموضوع القتل الجزئي

هناك أشخاص لا ينتحرون انتحاراً كاملاً بقتل أنفسهم دفعة واحدة في لحظة أو لحظات. وإنما يقتلون أنفسهم تدريجياً قتلا جزئياً. سواء يقصدون قتل أنفسهم أو لا يقصدون...

وذلك عن طريق التدخين والمسكرات والمخدرات

ولما كان هذا الموضوع طويلاً. ولا شك يحتاج منا إلي مقال خاص. لذلك استسمحكم في إرجائه إلي فرصة أخري

يدخل في القتل التدريجي أيضاً إهمال الشخص للقواعد الصحية وتعريض الجسد بأسباب عدة إلي أمراض خطيرة تقضي عليه. مع عدم المبالاة بالتعرض للعدوي من أمراض قاتلة. وكذلك عدم إعطاء الجسد الراحة التي يحتاجها. والاستهانة بكل هذه الأسباب وعدم اعتبارها وسيلة لتدمير الجسد تدريجياً. بينما هي تنحر فيه نحراً

* *

في جريمة قتل الغير. نتناول نقطة الامتناع عن الإغاثة

ليس القتل هو أن تقوم بنفسك بإنهاء حياة إنسان. وإنما إذا تعرض إنسان للموت. ولم تنقذه- حين كان بإمكانك انقاذه- فأنت إذن مشترك في سبب موته

كذلك هي مسئولية علي جمعيات الإسعاف. إن أهملت في انقاذ انسان في خطورة الموت. أو رفض طبيب مختص أن يعالجه أو أن يجري له عملية عاجلة في حالة emergency. فهو مشترك في قتله. وبنفس المنطق نقول عن اغاثة المشرفين علي الغرق. أو عدم انقاذ الذين في خطر الحرائق...

وخارج مسئولية الأفراد. نتحدث عن مسئولية الدول الكبري الغنية جداً. حينما لا تمد يدها إلي دول في غاية الفقر تقاسي من الجوع والعري والمرض. وتلزمها إغاثة عاجلة. ويموت منها الآلاف بدون معونة من الدول الغنية.

* *

نقطة أخري وهي القتل بالمسئولية

وهي حالة الشخص الذي لم يقتل بنفسه. ولكنه يُطالب بدم القتيل. إن كان مسئولاً عما تسبب في قتله.

مثال ذلك إن حفر انسان بئراً أو حفرة عميقة. ولم يغطها. فوقع فيها إنسان ومات. تقع عليه مسئولية في مقتل هذا الإنسان.

مثال آخر هو مهندس أو مقاول يخطيء في التسليح السليم لخرسانة بيت يبنيه. فإن إنهار ذلك البيت. ووقع علي من فيه فماتوا. يكون ذلك المهندس أو المقاول مسئولاً في قتلهم

كذلك إن كان عند إنسان كلب مسعور. وتركه ينهش في الناس ويتسبب في موتهم. يكون صاحبه مسئولاً عن قتلهم

.. والأمثلة كثيرة في هذا المجال كصاحب عربة تالفة يوظف لها سائقاً متهوراً. فتصدم اناساً وتميتهم. أو مدير عمل يستبقي عنده موظفاً شرساً. يجرح الناس في مشاعرهم. ويؤذيهم في أرزاقهم

* *

يبقي علينا في هذا الموضوع قتل الروح. وقتل الأعصاب. والقتل المعنوي. وتحطيم الشخصية. وكلها تحتاج إلي تفصيل لا يتسع له الوقت

قتل الروح مثل الاغراءات التي تسقط أرواح الناس في الخطيئة. فيهلكون. وكذلك الإهمال في تربية الأبناء فيضلون. وهؤلاء سيطالب الله آباءهم ومعلميهم بدمائهم في يوم الدين

وقتل الأعصاب وهو قتل لا يستخدم فيه صاحبه خنجراً أو رصاصاً. وإنما يقتل غيره بالإهانة والتجريح وسوء المعاملة والكلمة الموجعة

والقتل المعنوي مثل عمليات التشهير وإساءة السمعة والنقد الهابط

أما تحطيم الشخصية فمثاله أب قاس. يلغي شخصية ابنه. ويحطم معنوياته في كل كلمة وكل تصرف. فينشأ بلا شخصية. قد قتل فيه ذلك الأب كل إحساس بالذات وكل ثقة بالنفس. وأنشأه خائفاً متردداً.